مهرجانات الأفلام : فضاء للتفاعل الثقافي وتثمين التراث

الباحث الزين عبدالحق/ اشراف أ.د. بن مزيان بن شرقي

جامعة وهران 2 محمد بن احمد

الملخص :

نحاول من خلال هذا المقال إبراز واحدة من بين فضاءات العرض الثقافي والمتمثلة في فضاء مهرجان الفيلم وذلك من خلال التركيز على التفاعل الثقافي من خلال عرض بعض المفاهيم التي قد نلمسها داخل هذا الحيز و بما ان السينما هي المحرك الاساس لهذا الفضاء سنتطرف الى اهميتها كصناعة في عملية خلق تفاعلية و لاسيما تثمين التراث عن طريق الافلام الوثائقية

الكلمات المفتاحية :

مهرجانات الافلام ،التفاعل الثقافي ، تثمين التراث،الثقافة.

شغل مفهوم الثقافة حيزا مهما في الدراسات الأنثروبولوجيةوالسوسيولوجية والامر ذاته مع التراث ، حيث سعت مختلف العلوم كالتاريخ وعلم الاثار الى دراسته .ومع تطور العلوم الانسانية والاجتماعية عموما في مجال تكييف منهاجهما ،ادى الى ظهور نسق متحاقل يسعى الى دراسة الثقافة والتراث على حد سواء،ولعلى أبرز تلك الاشكالات المتعلقة بهما هي :هل نتحدث عن ثقافة أم ثقافات ؟ واستخدام المفهومللثقافة ؟ ومسألة تثمين التراث ؟

نجد من بين الحقول التي تعيد طرح هذه الاشكاليات هو حقل السينما من خلال الانتاج ونشر الاعمال الفنية والاتصال الثقافي، وباعتبارها أيضا وسيلة إعلامية، ولعلى من بين تلك الميدان الذي يسمح بإبراز جوانب المشكلات الثقافية نجد المهرجانات .

تعد مهرجانات الافلام واحدة من بين التظاهرات الثقافية والفنية التي تقام في مختلف أصقاع العالم . أين يتم من خلالها عرض مجموع الافلام وذلك حسب طبيعة كل مهرجان ويقصد بكلمة مهرجان في جزءها الاشتقاقي و المأخوذ من اللاتينية festivus بمعنى مكان تواجد الحفلة [1]،ونجد في اللغة العربية ان كلمة مهرجان تعني احتفال الاعتدال الخريفي وهي كلمة فارسية مركبة من شقين مهر ومن معانيها الشمس ، والثانية : جان ، ومن معانيها الحياة أو الروح وذلك حسب المعجم المعاني الجامع[2] في اللغة العربية أما مهرجان السينما فيعرفه المعجم الفرنسي على انه حدث منتظم (احيانا سنوي) اين تعرض الافلام للجمهور خلال فترة محددة .ومهرجان السينما عموما يختص بموضوع أو نوع سينمائي محدد [3]،وعليه فمهرجان الفيلم بمفهومه البسيط هو حدث يرعى من طرف حكومة محلية أو وطنية أو منظمات أو جمعيات تهتم بالقطاع السينمائي حيث يسمح فضاءه بالتقاء صناع الأفلام، المنتجين، الموزعين، النقاد والجمهور والمهتمين بقطاع السينما في فترة زمنية معينة،فهناك من يربط تعريف بمقاربة مكان-زمان بمعنى تظاهرة تقام في مكان و زمان محددين وثابتين .ويتجلى دور مهرجانات الافلام في منحها أشكال من التقييم للأفلام التي تختراها في مسابقتها الرسمية .

1- مهرجانات الافلام فضاء للمفاهيم الثقافية :

- ثقافة المؤسسة:

يعتبر هذا المفهوم وليدة الاطار المؤسساتي وليس العلوم الاجتماعية في السبعينيات القرن الماضي،وقد جاء هذا المفهوم نتيجة لعدة اعتبارات ناجمة عن كثرة المؤسسات ونظرا للصعوبات العلائقية بينها ،أدى الى التفكير في طريقة تسيير المؤسسة ،وهو الأمر الذي ينطبق على مؤسسة مهرجان السينما ، خاصة ذات الطابع الكلاسيكي منها المتعارف على أصولها وطرق تنظيمها .فمؤسسة المهرجان منتجة للثقافة عن طريق العروض الأولى ومساهمة في صناعة ثقافية وهذا ما نلاحظه على مهرجانات دولية كمهرجان البندقية في إيطاليا الذي انطلق في عام 1932،و مهرجان كان بفرنسا في طبعته الأولى عام 1939 واللذان لا يزالان يحتفلان بعرقتهما إلى الآن. ولعلى ثقافة المؤسسة ساهمت بشكل أو بأخر في الحفاظ

على تلك العراقة، فكما يرى المنظرون في الحقل الثقافي والاجتماعي أن ثقافة المؤسسة تصنع من قبل فاعليين اجتماعييناالمنتمين إليها، ولهذا نجد في مؤسسة المهرجان من لهم صلة بالسينما أو إحدى مجالاتها ، ولهذا يعتبرون أن ثقافة المؤسسة لا تكون بقرار سلطوي، بل عن جملة تفاعلات بين المجموعات المكونة للمؤسسة من خلال رسم المقاطعات وتحديدوتيرة العمل ،وتنظيم العلاقات بين الفاعلين ،وتوقع المشاكل التقنية والحلول المناسبة لها[4]. فثقافة المؤسسة لا تكون بمعزل عن المحيط فالمهرجانيين السابقين الذكر على سبيل المثال يشكلان تراكما لمدة تتجاوز ثلاثين عاما عن نشأتهما عن مفهوم ثقافة المؤسسة هذا بالنظر تاريخهم وللصناعة السينمائية. وبالتالي تتفاعل ثقافة المؤسسة مع محيطها على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.فقد أضحت مؤسسة مهرجان السينما ضمن اطار الصناعة الثقافية، تتفاعل مكوناتها داخلية من أصحاب الفن السابع وغيرهم مع المحيط الخارجي للمؤسسة، لنتحصل على مركب اسمه ثقافة مؤسسة مهرجان الفيلم السينمائي.

- الثقافةالجماهيرية:

يشير هذا المفهوم إلى الفكرة التي انتشرت وهي الجمهرة massification،الناتج عن تحولات الاجتماعية التي شهدها المجتمع الغربي المرتبطة أساسا بالتصنيع والتجارة وتطور شبكة المواصلات وظهور المؤسسات وتوسع وسائل الاعلام الجماهيرية لجميع طبقات المجتمع. وكما رأى فليب برتون Philippe Bretonأن الجمهرة أدت إلى ظهور الوجود الاجتماعي[5]معبرا بذلك عن انهيار العلاقات التقليدية التي تربط افراد المجتمع المحلي وبالتالي انهيار القيم الثقافية، اذ يرى ادغار موران Edgar Mori[6]أن نمط انتاج هذه الثقافة يخضعإلى الانتاج الصناعي الجماهيري ومنه الانتاج السينمائي باعتبار ان السينما وسيلة اعلام جماهيرية من جهة ومؤسسة صناعية وتجارية من جهة أخرى، تقوم بتصنيع وترويج عمل فني لهذا قيل أن السينما هي فن وتجارة وصناعة ،تتجسد الثقافة الجماهرية في مهرجانات الافلام من خلال عدة مستويات منها علاقة الجمهور بالمنتوج السينمائي وهنا تطرح مسألة تلقي الفيلم وتأثيراته، فالفيلم يحمل ثقافة معينة يريد أن يصل بها إلى جمهور معين والفيلم في هذه الحالة عبارة عن سلعة فكما نظر تيودورادرنووهوركهايمر في دراستهما جدل التنوير حول نظام السينما الهوليودية تبين لهم أن نظامها مجموعة متكاملة من الموظفين يعمل كل واحد في اطاره ضمن حدود تقسيم العمل السينمائي، وكل فرد يقوم بمهامه ليتم تجميع المجهودات في الاخير والحصول على المنتج النهائي[7].ومن جهة أخرى تتجسد هذه الثقافة وفق سياقات كتلك التي تربط الصحافة ووسائل الاعلام والدعاية والاشهار بالمهرجان والجمهور معا، فوسائل الاعلام الاخرى تلعب وسيطا في نقل المعلومات في عدة اتجاهات محققتا تفاعلا بين مكونات فضاء مؤسسة المهرجان الفيلم .

- التثاقف أو الاتصال الثقافي.

كان ينظر الى هذا المفهوم في بدايته على أنه سيطرة الثقافة الرئيسية على الثقافة الثانوية أو وجود ثقافة مانحة وثقافة متلقية أو الاشارة إلى وصف إلمام فرد بثقافة اخرى وهذا الامريرفضه البعض باعتبار ان التثاقف لا يكون في اتجاه واحد ،ومن انصار هذا الطرح باستيد الذي يقترح مصطلح تداخل ثقافي أو تقاطع[8]بمعنى وجود تفاعل ثقافي أخذ وعطاء ،وهذا ما ينطبق على مؤسسة المهرجان، فمهرجان الفيلم يضم العديد من الأطراف(مخرجين ،منتجين ....) فسيحدث اتصالا تفاعليا بين جميع الاطراف لا سيما اذا كان المهرجان ذا طابع دولي،وهذا ناتج عن ثقافات الافراد المشاركين وأعمالهم المعروضة.ونشير بالذكر إلى تلك المهرجانات الحديثة التي تهتم في طابعها بالعلاقة بين المخرج والمنتج والتي في بعضها تدفع نحو الانتاج المشترك ،مما قدم نموذج جديد مشكل من فسيفساء ثقافية لمنتج فني بالإضافةإلى بروز مفهوم أخر هو التعددية الثقافية، فقد نجد في البلد الواحد العشرات المهرجانات الافلام بدرجات متفاوتة تعبرعن مكونات ثقافية جزئية فمثلا في الجزائر :مهرجان الفيلم الامازيغي ،ايام الفيلم المتوسطي ،مهرجان الفيلم العربي ،ايام السينمائية للفيلم الدولي...الخ.

- الصناعة الثقافية

تعرف الصناعة الثقافية حسب اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي المعتمد من قبل اليونسكو في خريف 2005 بأنها :» التي يتبين ،لدى النظر في صفتها أو وجه استعمالها أو غايتها المحددة ،أنها تجسد أو تنقل أشكالا للتعبير الثقافي بصرف النظر عن قيمتها التجارية »[9]و بالحديث عن مهرجانات الافلام فهي ليست فضاء للعرض وحسب وإنما سوق يتم من خلالها عرض البضاعة الثقافية من خلال تقديم إنتاج صناعي ووجود استهلاك من قبل الجمهور،فبالنظر إلى المهرجانات الكلاسيكية التي تركز على علاقة الجمهور بالسينما نجد مجالا للاستهلاك الثقافي وفق حلقتين: الاولى تمثل في التمايز الطبقي وهنا نشير الى بيير بورديو في مؤلفه التمايز أين يتحدث عن الاذواق لكل طبقة وبالتالي نطرح سؤال من هو جمهور السينما؟ لتأتي الحلقة الثانية منطلقتا من فكرة السيطرة على هذا الجمهور من قبل صاحب الانتاج الذي أصبح يسيطر عليه مبدأ الربح في عملية الانتاج، لهذا يطرح ادرنوأن المنتج الثقافي يقاس بقيمته المادية وليس الفنية ،أما المهرجانات الحديثة العهد فتقوم بتركيزها على علاقة المخرج بالإنتاج من خلال ربط اتفاقيات وشراكات عبر هذا الفضاء كما أن فضاء المهرجان يحرك بعض النشاطات الاقتصادية كالسياحة مثلا وذلك اذا ربطنا مسالة المكان (المدينة) والحدث السنوي ببعضهما، فهو فرصة لتشجيع وترويج بعض الصناعات الثقافية الموازية بالإضافةإلى المساهمة فيبعض الاقتصادات النامية ففي بعض البلدان تشكل إيرادات السينما دخلا مهما للاقتصاد المحلي والوطني .

2- <u>مهرجانات الافلام وتثمين التراث</u>

يرتبط تثمين التراث عادة بالعامل الاقتصادي ومسألة وجوده في المهرجان يرتبط بالمكان المحجوز للأفلام التراث. ويكون في بعض من أنواعها الذي يحمل طابع تكريم للذكرى ولازال حتى الان يفترض بوجود أفلام التراث اليوم فهو مرتبط بالتحديث المسجل من قبل أخر استرجاع restaurationمعلن عنه بعد صدوره في قاعات العرض أو على الاقراص المضغوطة من قبل المؤسسة الحدث وفي قاعات خاصة مثل قاعات المتاحف. حتى المهرجانات الغير متخصصة في التراث كمهرجان كان مثلا ومن خلال فر عه كان كلاسيك يسعى إلى استغلال الاهتمام بالتراث من خلال وجود نسخ مسترجعة لأعمال فنية ماضية .ويتجسد اهتمام مهرجانات الافلام بالتراث من خلال ربط علاقات أو اتفاقيات بين مهرجانات الافلام ومؤسسات تسعى الى المحافظة على التراث من معاهد وسينماتك الذي يحتوي العديد من الارشيف والمتاحف وغيرها من القطاعات التي تملك رصيدا سمعيا بصريا أو أرشيفا ومن بين العوامل المساعدة في الحفاظ على التراث واعادة تثمينه نجد :

- الفيلم الوثائقي

نوع من الافلام يطلق عليه بالفيلم التسجيلي سمي وثائقي لأنه يوثق الاحداث ويصور الواقع بطريقة فنية ،ويصعب تحديده لتقاطعه بين السينما والاعلام ولكن يمكن تحديد خصائصه التي تميزه عن الافلام الاخرى :فهو لا يشترط ممثلين بل الشخصيات التي يوظفها هي حقيقة وواقعية وقد يتم استبدالها في بعض الاحيان لأسباب موضوعية، كمأنه لا يعتمد على الحواربل علىالتعليق والامركذلك بالنسب لديكور فهو في الاماكن الحقيقية للحدث ،وتصبح المعلومات المعروضة في الفيلم الوثائقي من المسلمات لما تحمله من واقعية وشواهد تؤكد على صدقه .وبمأن العمل التوثيقي يدخل من اطار الارشيف والذاكرة والتاريخ فيصبح عبر الزمن ارثا للأجيال القادمة ،وعليه تخصص اغلب المهرجانات الافلام حيزا هاما لهذا النوع من الافلام وذلك ضمن مسابقاتها الرسمية بجعل المادة الوثائقية والبحثية وذكريات الاشخاص موضع عرض،واعادة طرحها في الحاضر وفق سياق يحتمل التأويل والنقاش[10] حيث يرى الناقد جان الكسان انه مفيد ومطلوب ان نسجل الماضي والتراث الاحداث الكبيرة في السينما[11] وبالتالي الفيلم الوثائقي يعتبر عملا تواصليا يعتمد على الحقيقة غير المزيفة أو المصنعة كما رأى كل من اندريه بازان وروبرت فلاهرتي.

ومنه يرتبط التاريخ السينمائي بالذاكرة لتلك الدولة ،ومن خلالها تسعى بعض الهيئات إلى إنشاء سينماتك أو أرشيف سينمائي لاهتمامها بمسائل التاريخ والثقافة والهوية .ولا يقتصر ذلك الأرشيف على الفيلم المصور فقط بل الى جميع المطبوعات والوثائق المرتبطة به، ولهذا نجد فيأغلب مهرجانات الافلام منشورات مرافقة للأفلام المتنافسة في المسابقة

وخارجها ،ومن خلال التفاعل تطرح في كل مرة مؤسسات مهرجان ومن خلال ندواتها أو ورش عملها مجموعة من القضايا تتعلق بالمسائل الثقافية والتراثية كمسألة الماضي والراهن واشكالات السينما التجديدية في وجه السينما التقليدية.

الهوامش والاحالات:

1. Christel Taillibert,Tribulations festivaliers : les festivals de cinéma et audiovisuel en France ,L'Harmattan ?PARIS ,2009,p11.

2. ينظر الى المعجم العربي الجامع :كلمة مهرجان.

3. Dictionnaire français ترجمة شخصية

Evénement régulier (souvent annuel) où des films sont présentés aupublic pendant une durée déterminée, un festival de c inéma agénéralement un thème ou se spécialise dans un genrecinématographique déterminéhttp://www.linternaute.com /dictionnaire/fr/definition/festival-de-cinema

4. Michel lieu,technologie,organisation du travail et comportements des salaries ,Revue française sociologie,vol,XXII,1981,pp .205-221.

5. ينظر الى : Philippe Breton et Serge Proulx, L'explosion de la communication , introduction aux théorie et aux pratiques de la communication

6.Edgar Morin,L'esprit du temps :essai sur la culture de masse ,paris B Grasset 1962 .

7.Adorno Theodor and Max Horkheimer, Dialectic of Enlightenment , London ,1992,p 156 .

8. دنيس كروش ، ترجمة منير العيداني،مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،2007 ،ط1، ص 99.

9. ينظر الى :المنظمة الامم المتحدة للثقافة والعلوم

10. نديم جرجرة ،راهن السينما العربية :عن حكايات فردية ....وعن تجديد الفيلم الوثائقي ،المستقبل العربي العدد 419 ص ص 115-131.

11. جان الكسان ،السينما في الوطن العربي ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ،عالم المعرفة الكويت 1983 ص 18.